

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال

باب الانتفاع بالصدق والمخافة من عاقبة الكذب .

قال أبو عبيد : من أمثالهم فيما يخاف من مغبّة الكذب قولهم " لَيْسَ لِمَكْذُوبٍ رَأْيٌ " وكان المفضل بن محمد الضبي فيما بلغني عنه يُحَدِّثُ أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْمَثَلِ هُوَ الْعَنْبَرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ بَنِ مَرْقَالَةَ ابْنَتِ الْهَيْجُمَانَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ ابْنَ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ كَانَ يَزُورُهَا فَتَنَاهَا قَوْمُهَا عَنْ ذَلِكَ فَأَبَى حَتَّى وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ قَوْمِهِ وَقَوْمِهَا فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ شَمْسٍ فِي جَيْشِهِ فَعَلِمَتْ بِهِ الْهَيْجُمَانَةُ فَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا وَقَدْ كَانُوا يَعْرِفُونَ إِعْجَابَ الْهَيْجُمَانَةِ بِهِ كإِعْجَابِهِ بِهَا . فَلَمَّا وَقَالَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ لِأَبِيهَا قَالَ مَازَنُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ " حَنْتُ فَلَا تَهَنْدُتْ وَأَنْزَيْ وَأَنْزَيْ لَكَ مَقْرُوعٌ " وَهُوَ عَبْدُ شَمْسٍ بْنُ سَعْدٍ كَانَ يَلْقَبُ بِهِ - فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا عِنْدَ ذَلِكَ : أَيُّ بَنِيهِ أَصْدَقِينِي أَكْذَلُكَ هُوَ فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِمَكْذُوبٍ فَقَالَتْ : " ثَكَلْتُكَ إِنْ لَمْ أَكُنْ صَدَقْتُكَ فَلَا نَجْ وَلَا إِخَالُكَ زَاجِرِيَاً " فَذَهَبَتْ كَلِمَتُهُ وَكَلِمَتُهَا وَكَلِمَةُ مَازَنٍ أَمْثَالًا .

قال أبو عبيد : ومن أمثالهم فيما يخاف من غب الكذب قولهم : " لَا يَكْذِبُ الرَّسَّاءُ دُ أَهْلَهُ " وَهُوَ الَّذِي يُقَدِّمُونَهُ لِيَرْتَادَ لَهُمْ كَلًّا أَوْ مَنْزِلًا أَوْ مَوْضِعَ حَرَزٍ يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ مِنْ عَدُوِّ يَطْلُبُهُمْ فَإِنْ كَذَبَهُمْ أَوْ غَرَّهُمْ صَارَ تَدْبِيرُهُمْ عَلَى خِلَافِ الصَّوَابِ فَكَانَتْ فِيهِ هَلَكَتُهُمْ . قال أبو عبيد : ومثل العامة في هذا قولهم " الْكَذِبُ دَاءٌ وَالصِّدْقُ شِفَاءٌ " وذلك أَنَّ الْمَصْدُوقَ يَعْمَلُ عَلَى تَقْدِيرِ يَكُونُ فِيهِ مَصِيبًا وَأَنَّ الْمَكْذُوبَ عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ